البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

« الموالد والشعور الديني وضرر الخرافات »

كان شهر رجب المنصرم شهر الموالد التي يحتفل بها في القاهرة وضواحيها باسماء بعض الأولياء والأصفياء كمولد الرفاعي والبيومي والسيدة زينب والامام الشافعي فكنت ترى شوارع المدينة واسواقها مزدحمة بالوفود القادمين من الأرياف لحضور هذه الموالد بنسائهم وأولادهم مشاة وركباناً وتسمع النساء يزغردن ويغنين راكبات على الإبل والحمير وعربات النقل . واما مشايخ الطرق فكنت تراهم في ملك كبير ، طبول ومزامير ، واعلام مرفوعة ، وكلمة مسموعة ، وازياء رائعة ، ورعية طائعة ،

رأيت شيخاً كبيراً منهم يقود زعنفة في الطريق وعلى رأسه عمامة حمراء ، كبيرة عجراء ، وهو يصيح ويتغنى ، ويتمايل ويتثنى ، وبيده قضيب يهش به على الزعنفة ويشير اليهم بالأمر والنهي وهم له خاضعون ، ولأمره ممتثلون ، بفرح وسرور ، ووجدان وشعور ، لان السلطة روحية دينية ، لا قهرية سياسية ، كسلطة الحكام ، أرباب الاستبداد والإلزام ،

نعرف بالاختبار ان امثال هؤلاء الناس لا يجدون في صلاة الجمعة والجماعة ولا في العيدين بعضاً من هذا الشعور الديني والفرح بالاسلام ، وما فيه من سوابغ الآلاء والانعام ، ولا تتحرك قلوبهم للوعظ والتذكير ،

كما تتحرك لسماع الدفوف والمزامير ، ولا يتلذذون فى يوم العيد بالتكبير ، كما يتلذذون فى « الحضرة » بالمكاء والصفير ، والشهيق والزفير ، وهذا الشعور الذى ينسب الى الدين هو اكبر ما بقي فى نفوس هؤلاء من سلطان الدين وتأثيره وقد ارتفع قدر هذه الموالد بسببه وصار الناس ينفقون فيها النفقات العظيمة ويعتقدون ان من اعتاد على حضورها أو انفاق شيء فيها ثم ترك عادته فلا بد ان ينكب وتحل به المصائب والدواهي وقد نقل الينا الثقات المخبرون ان كثيراً من الناس حاولوا فى بعض السنين القعود عن المولد الذي كانوا يعتادون حضوره فكانت امرأة الواحد منهم تنذره بسوء العاقبة فاذا لم يبال بانذارها تسعى فى ايقاع الضرر أو الهلاك بشيء مما له من حرث أو نسل ليعتقد ان الولي تصرّف فيه لعدم حضور مولده ومنهن من توقع بولدها منه والعياذ بالله تعالى فاذا هي لم تسع بشيء واتفق ان نزلت بهم مصيبة - ولا يسلم أحد من المصائب فى نفسه وأهله وماله — فلا يشك هو ولا هي بأن سبب المصيبة عدم حضور المولد

كأن اولياء الله فى اعتقاد هؤلاء الجهلاء ما وجدوا الا لإيذاء الناس وارهاقهم العسر والفتك بهم عند ادنى تقصير فى تعظيمهم ولكنهم لا يغارون على دين الله تعالى اذ لا يتقمون من الكافرين بالله عز وجل ولا يتصرفون بتاركي الصلاة ولا بمانعي الزكاة ولا يؤذون الزناة والسكارى وشهود الزور والمعتدين على حقوق الناس ! !

هذا الشعور الذى يرى أثره من العامة هو الذى يرضي الكثيرين من العقلاء والفضلاء ببقاء العامة على هذه البدع ولوم من ينكرها وعذله

والاحتجاج عليه بأن انكارها يفضي الى الشك في الدين . ولكن هذه المغالطة باطلة فان الحق لا يعزز ولا ينصر بالباطل وان السكوت على هذه الاباطيل مصانعةً للعوام يجعل الدين هزواً ولعباً في نظر الخواص ويطلق ألسنة اعدائه بالطعن فيه على انه وقوع في مثل ما ارادوا الهروب منه فان ما عليه الناس من البدع والخرافات مضاد للدين ولا شك ان الزيادة فيه والنقص منه سيان . ولو تنبهوا الى مقدار فتك الخرافات في عقول المعتقدين بها ، وعلموا انها اضعفت استعدادها ، واضلتها عن رشادها ، حتى كادت تفقد قابلية الفهم ، وتحرم من قبول اي علم ، لا فرق بين الظن واليقين ، في امر الدنيا وامر الدين ، لحكموا معنا بان جناية البدع والخرافات ، هي اعظم الجنايات ، وان طابت التذكير بالدليل ، فدونك ما يأتي في التمثيل ،

« ولي الجيزة او دجالها »

في الجيزة شيخ من الذين يعتقد الناس فيهم الولاية وينسبون لهم الكرامات وهذا الشيخ متهتك مدمن خمر يجلس في الحانات التي في الشوارع العمومية ويشرب في مجلس واحد اكثر من ثلاثين كأساً . ونقل الينا أن بعض الاغنياء الموصوفين بالصلاح يتقربون الى الله (تعالى وتنزه عن تقربهم) بدفع ثمن الخمرة التي يشربها ويزعمون ان سؤره من الخمر فيه بركة وشفاء فيشربونه بهذه النية وربما يقتل الخمر من فيه عليهم لاجل البركة عليهم . ويؤكد الناقلون ان هؤلاء الاغنياء معتقدون في الشيخ حقيقة لا محتالون على السكر باسم الدين .

ومن الناس من يعتقد ان الولي اذا تناول خمراً للشرب تتحول الخمر

في يده أو فيه الى مائع آخر وقد كان بعض الدجالين المدعين الولاية كالشيخ الطشطوشي في مصر يشعوذ ويموّه على الجاهلين — وأكثر الناس عندنا جاهلون — بسبب اعتقادهم هذا فيأتي بكأس من الخمر الصافي المسمى بالعرق الذي يبيضّ بالمزج ويجعل في فيه ماء من حيث لا يشعر الحاضرون حتى اذا وضع الكأس على فيه مجّ الماء فيه فيصير ابيض اللون ويقول الاغمار استحالت الخمرة لبناً . وحزب ولي الجيزة يعتقدون انه يشرب الخمر فتنزل في جوفه خمراً ولكنه من أحباب الله (حاش لله) الذين لا يؤاخذهم ولا يؤاخذ من ينتمي اليهم ويتصل بهم . وهذا الاعتقاد كفرٌ وخروج من الاسلام بلا خلاف بين الأئمة وما أوقع الناس فيه الا الغلو في اعتقاد الكرامات ، وجعلها كصناعة من الصناعات ، وزعمهم ان السكوت على الخرافات انما هو للخوف من انكار الكرامات على ان انكارها ليس بكفر ولم يقل امام بوجوب اعتقاد كرامة ولي مخصوص

وهناك فتنة أكبر وهي ان ذلك الدجال يفسر القرآن برأيه الفاسد وجهله الكاسد — استغفر الله أنه رائج في سوق المعتقدين به فهو في هذا كولي الزقازيق الشيخ محمد أبي خليل وقد ورد في الحديث الصحيح « من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار » وكل من ليس له دراية صحيحة بالعلوم والفنون التي يتوقف عليها التفسير (راجع ص ٢٠٧ م ٣) فانما يفسر بالرأي والهوى . ونرى هؤلاء الجهلاء يزعمون ان من الكرامة ان تفاض على الولي جميع العلوم فيضاً ولكن العلماء متفقون على ان علوم اللغة والشرع لا تعرف الا بالتلقي والتعلم كما في فتاوي ابن حجر الحديثية . وفي الحديث « العلم بالعلم والحلم بالتحلم » وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله